

دور التعاونيات في مواجهة آثار الحرب على الاقتصاد والمجتمع في السودان 2023

آمنة عبدالله





منتدى البدائل العربي
Arab Forum For Alternatives

منتدى البدائل العربي للدراسات الاجتماعية

دور التعاونيات في مواجهة آثار الحرب على الاقتصاد والمجتمع في السودان 2023

ورقة سياسات

آمنة عبدالله

مراجعة فنية : عمر سمير

مراجع اللغة العربية: أحمد الشبيني

تصميم: محمد جابر

منسقة المشروع: ناصف براهيم

الآراء الواردة في هذا الإصدار تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي منتدى البدائل العربي للدراسات أو أي من المؤسسات الشريكة

المقدمة

يواجه السودان تحديات اقتصادية واجتماعية كبيرة كانت قائمة قبل اندلاع الحرب في 15 أبريل 2023، حيث كان الاقتصاد يعاني من عدم استقرار سعر الصرف وارتفاع معدلات التضخم والبطالة، بالإضافة إلى سوء توزيع الخدمات.¹ هذه الأوضاع زادت من معاناة المواطنين في توفير احتياجاتهم اليومية، سواء في المواد الغذائية أو الأدوية. كما شهدت البلاد نزوحًا واسعًا من الأرياف إلى المدن بسبب تركيز الخدمات في الوسط، ما أدى إلى إفقار الريف. مع اندلاع الحرب، ازدادت هذه التحديات وتفاقت الخسائر الاقتصادية التي قُدرت بأكثر من 50 مليار دولار كخسائر مادية مباشرة، نتيجة لتدمير البنية التحتية ونهب المؤسسات الاقتصادية، ما أثر بشكل كبير في حياة المواطنين، وخاصة الطبقة العاملة التي فقدت نحو 80% من أعمالها اليومية. إضافة إلى ذلك، تشير التقديرات إلى نزوح 12 مليون شخص داخليًا وخارجيًا هربًا من القتال الدائر في مناطق متعددة، مثل الخرطوم ودارفور، وفي ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة تبرز التعاونيات كإحدى الأدوات الفعالة التي يمكن أن تسهم في معالجة آثار هذه الأزمات. مع تدمير البنية التحتية ونزوح الملايين، أصبح من الضروري التركيز في حلول محلية ومستدامة قادرة على تعزيز الإنتاج وإعادة بناء النسيج الاجتماعي.²

التدهور الاقتصادي والاجتماعي في السودان: رؤية ما

بعد حرب 2023

- في أعقاب استيلاء الجيش على السلطة في أكتوبر 2021، تعرض الاقتصاد السوداني لصدمة كبيرة، حيث توقفت عملية الإصلاح الاقتصادي التي كانت تهدف إلى تحقيق استقرار شامل وإعفاء ديون السودان الخارجية بحلول يونيو 2024. كانت هذه العملية مدعومة ببرامج إصلاح وضعها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، بما في ذلك خطة لتخفيف عبء الديون في إطار مبادرة البلدان الفقيرة المثقلة بالديون (HIPC). لكن هذا الانقلاب أدى إلى تعليق عديد من الاتفاقيات الدولية ووقف الدعم المالي الخارجي، ما فاقم الأزمة الاقتصادية .
- أدى اندلاع الحرب الداخلية في إبريل 2023 إلى تفاقم الوضع الاقتصادي بشكل كبير، حيث تعرضت البنية التحتية الصناعية في العاصمة الخرطوم لتدمير واسع النطاق. عانت كبرى المصانع والشركات، التي تمثل جزءًا كبيرًا من الإنتاج المحلي، من عمليات نهب وتخريب للآلات، ما أدى إلى توقفها عن العمل. وقدر خبراء اقتصاديون خسائر البنية التحتية نتيجة لهذه الحرب بأكثر من 60 مليار دولار. نتيجة لذلك، واجهت البلاد نقصًا حادًا في السلع والمواد الغذائية المنتجة محليًا، ما زاد الاعتماد على الاستيراد من الخارج لتلبية الاحتياجات الأساسية .
- المشكلة الأساسية التي يواجهها الاقتصاد السوداني اليوم ليست فقط في نقص السلع نتيجة تدمير المصانع، ولكن أيضًا في التحديات المتعلقة بالديون الخارجية وعدم القدرة على تمويل الواردات أو إصلاح القطاع الصناعي. السؤال المطروح هنا هو كيف يمكن للتعاونيات أن تلعب دورًا في التخفيف من تأثير هذه الأزمات. هل يمكن أن تكون التعاونيات وسيلة لتعزيز الإنتاج المحلي وإيجاد حلول بديلة لأزمة الغذاء؟ وما هو دورها في إعادة بناء النسيج الاقتصادي والاجتماعي الذي دمرته الحرب.³

نماذج نجاح داخل السودان وخارجه

- **مشروع الجزيرة:** في فترات معينة، ساهمت التعاونيات الزراعية في مشروع الجزيرة في تقليل الاعتماد على نظام الشيل، حيث قامت بتوفير الخدمات الزراعية والتمويل للمزارعين.

تجارب دولية

- **في الهند:** تمكنت التعاونيات الزراعية من الحد من استغلال المزارعين من قبل المقرضين المحليين، حيث قدمت التعاونيات بدائل تمويلية أكثر عدالة.
- **في رواندا:** ساهمت التعاونيات الزراعية في رواندا في إعادة بناء الاقتصاد الريفي وتعزيز المصالحة الوطنية. من خلال التركيز في إنتاج القهوة والشاي، تم توفير فرص عمل واستقرار للأسر المتضررة.
- **في البوسنة والهرسك:** ركزت التعاونيات الصناعية والغذائية في دعم الإنتاج المحلي وإعادة دمج النازحين في سوق العمل، ما ساهم في تسريع عملية التعافي.⁴

الدور الاقتصادي للتعاونيات

1. **تعزيز الإنتاج المحلي:** يمكن للتعاونيات الزراعية أن تلعب دورًا محوريًا في دعم المزارعين وتوفير مستلزمات الزراعة بأسعار معقولة، ما يساهم في تقليل الاعتماد على الاستيراد وتعزيز الأمن الغذائي.
2. **دعم الصناعات المحلية:** من خلال التعاونيات الصناعية، يمكن إعادة تشغيل المنشآت الصغيرة والمتوسطة، وتشجيع التصنيع المحلي، وإيجاد فرص عمل جديدة.
3. **التمويل الجماعي:** تعمل التعاونيات كمصدر تمويل بديل للأعضاء، ما يقلل من الاعتماد على المؤسسات المالية التقليدية في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة.⁵

الدور الاجتماعي للتعاونيات

1. **تعزيز التضامن الاجتماعي:** التعاونيات تبني شبكات دعم بين الأفراد، ما يساعد في تخفيف آثار النزوح والتهجير من خلال توفير خدمات اجتماعية ودعم نفسي.
2. **تمكين الفئات المهمشة:** تساهم التعاونيات في تمكين النساء والشباب من خلال إشراكهم في أنشطة إنتاجية واجتماعية، ما يعزز دورهم في المجتمع.
3. **بناء السلام الاجتماعي:** بفضل طبيعتها الديمقراطية، تشجع التعاونيات الحوار والشراكة بين أفراد المجتمع، ما يساهم في تخفيف التوترات وإعادة بناء الثقة.⁶

السياسات البديلة لتحسين تجربة السودان في التعاونيات

1. يجب تمكين وزارة المالية من السيطرة على كل الإيرادات العامة لشركات الاتصالات والمسالخ وشركات تعدين الذهب والبتروول وغيرها، كما يجب تقليص عجز الميزانية، وضبط الإنفاق على مستوى مجلسي السيادة والوزراء وكل جهاز الدولة، والتوقف عن طباعة النقود فورًا ومن ثم العمل على تشجيع الإنتاج، وتمكين البنك المركزي من لعب دوره الفني في تنظيم السياسة النقدية والبدء في استخدام آليات محكمة لتحديد سعر الفائدة مع وضع خطة عملية لإصلاح الجهاز المصرفي كشرط أساسي لجذب الاستثمارات الخارجية.⁷
2. إن معالجة مشاكل التعاون في الإطار الحالي للهياكل الأساسية للاقتصاد السوداني لن يحرره من أسر المشاكل التقليدية الزمنية التي ظلت تلازمه وقتًا طويلًا ما لم تحدث قفزة في التصور وفي التخطيط تضع التعاون في موضع جديد وفريد وما لم يحدث تغيير فعلي وجذري بعيد ترتيب وتنظيم البنية الفوقية للاقتصاد السوداني ليعطي التعاون دورًا طليعيًا وأساسيًا في

الحركة التنموية فإن الحديث عن إزالة سلبيات الحركة التعاونية وهدم السياسات الخاطئة التي سجت التعاون في إطار ضيق سيكون عبئاً وطحنًا بلا طحين.⁸

3. إن النمو الأفقي والرأسي للقطاع الزراعي، والرعي وخلق كيان اقتصادي متماسك لفقراء المزارعين ومتوسطي الحال منهم... واستبعاد الاستغلال الربوي (نظام الشيل)⁹ والتجاري وحمائتهم من الغلاء وتسهيل العمليات الزراعية بالمشاركة الجماعية في عمليات الحصاد بالآلة وبالوسائل التقليدية، وتغيير الوسائل العاجزة في التسويق والتخزين عمل يتم بصورة أسرع وأكفأ عن طريق التعاون إذ إن العمل التعاوني يتميز بالقدرة على إعطاء الحافز الطبيعي والصحي للعمل.. فدافع الإنتاج هو تلك الفائدة المباشرة والحاسمة التي يجنيها باذل الجهد وتجنيتها المجموعة والتعاون بعلاقة مباشرة تلغي عملية الوسيط بين المنتج والمستهلك وتخلق مسارات سليمة وطبيعية للاستهلاك بل هي بدون شك تزيل الافتراق الإنتاجي إذ تعطي الفرصة الواسعة لانتقال السلعة من الإنتاج إلى الاستهلاك تحت رعاية القوى المنتجة، وهي بذلك تؤدي إلى نمو السوق المعتدل الذي يبرأ من الأنشطة الطفيلية التي تضيف إلى قيمة السلعة قيمة غير حقيقية ما يؤدي إلى نمو السوق السوداء والمضاربات التجارية التي تضر أشد الضرر بالمستهلك وبالوضع العام للاقتصاد.¹⁰

4. إن الشعار العالمي الذي رفعه الحلف التعاوني الدولي هو «التعاونيات من أجل التنمية المستدامة»¹¹ يحتم علينا استثمار هذا الشعار وترجمته علي أرض الواقع بأن تكون هناك حركة تصحيح للمسار التعاوني يقودها ويوجهها التعاونيون. كما لا بد أن يكون للتعاون الزراعي من خلال الجمعيات التعاونية المختلفة، دور رائد في ذلك. لذلك لا بد من بدء مرحلة جديدة بإعادة هيكلة وتطوير النظام التعاوني بما يتماشى مع الاقتصاد الحر والشراكة مع القطاع الخاص مع الحفاظ علي «الهوية التعاونية»¹²، في إطار دور جديد للدولة تلبية للاحتياجات المتعددة والمتجددة للحركة التعاونية السودانية وفي ظروف التحول من ثقافة الحرب إلى ثقافة السلام والتي يجب أن تلعب التعاونيات وخاصة الإنتاجية الزراعية دورها المنتظر في هذا الظرف الجديد.¹³

خاتمة

يتضح أن التعاونيات في السودان تمثل أداة واعدة لتحقيق التنمية المستدامة وإعادة بناء النسيج الاقتصادي والاجتماعي الذي تضرر بسبب الحروب والنزاعات. إن تعزيز ثقافة التعاون وتطوير السياسات الداعمة لها يشكل خطوة أساسية نحو معالجة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها السودان. ومع التركيز في «الهوية التعاونية» ومبادئ العمل الجماعي، يمكن للتعاونيات أن تلعب دورًا رياديًا في تعزيز الإنتاج المحلي، خلق فرص العمل، وتقليل الاعتماد على الواردات، وبالتالي دعم التحول نحو السلام والتنمية المستدامة.

التوصيات

1. **تعزيز التوعية بأهمية التعاون:** نشر ثقافة التعاون ومبادئه بين أفراد المجتمع من خلال وسائل الإعلام والبرامج التعليمية والتدريبية.
2. **دعم البنية المؤسسية للتعاونيات:** توفير الدعم الفني والمالي للتعاونيات الناشئة وتعزيز التشريعات التي تحمي حقوق الأعضاء وتضمن استدامة الكيانات التعاونية.
3. **إشراك الشباب والنساء في التعاونيات:** العمل على دمج الفئات المهمشة في القطاع التعاوني لإثراء الحركة التعاونية. مواهمة التجارب التعاونية مع السياقات المحلية: مراعاة الخصوصيات الاجتماعية والثقافية لكل منطقة لضمان نجاح التعاونيات واستمراريتها.
4. **تعزيز التعاون الإقليمي والدولي:** تبادل الخبرات بين التعاونيات المحلية والدولية للاستفادة من التجارب الناجحة وتحسين الأداء.

5. إعادة النظر في السياسات الاقتصادية: دمج التعاونيات كجزء من الخطط التنموية للدولة، مع التركيز في دورها في تحقيق السلام الاجتماعي والاستقرار الاقتصادي.

ختامًا، التعاون ليس مجرد نظام اقتصادي بل هو رؤية حضارية وإنسانية تستحق أن تكون جزءًا لا يتجزأ من إستراتيجيات التنمية في السودان والعالم

هوامش

- 1 السودان.. أزمة الاقتصاد تتفاقم وخبراء يحددون 5 علل و7 حلول <https://ln.run/hAoPk>
- 2 الصراع المسلح بالسودان وعواقبه الاقتصادية الوخيمة <https://ln.run/OE-71>
- 3 المحاور الخمسة لإسعاف الاقتصاد السوداني <https://ln.run/otuoZ>
- 4 الجمعيات التعاونية https://ln.run/h_gnp
- 5 الجمعيات التعاونية في السودان تحارب تجار الأزمات https://ln.run/_3mwc
- 6 ما دور الحركة التعاونية في تحسين حياة الأسر السودانية؟ <https://ln.run/iXzCo>
- 7 جهود لإحياء التعاونيات لتخفيف الأعباء الاقتصادية <https://ln.run/1MLtN>
- 8 بناء السلام من خلال التعاونيات <https://ln.run/ZBTjk>
- 9 نظام الشيل هو أحد أشكال الاستغلال الربوي الذي كان شائعًا في الأرياف السودانية، حيث يقدم التجار أو المرابون قروضًا نقدية أو عينية (غالبًا على شكل مواد غذائية أو بذور) للمزارعين مقابل شروط قاسية، بما في ذلك تسديد القرض مع فوائد عالية جدًا. هذا النظام يعيد المزارعين إلى حالة دائمة من الديون والفقر، ما يحد من قدرتهم على تحقيق أي استقلال اقتصادي.
- 10 جهود لإحياء التعاونيات لتخفيف الأعباء الاقتصادية <https://ln.run/1MLtN>
- 11 التعاونيات من أجل التنمية المستدامة: الإعلان عن اليوم الدولي للتعاونيات في عام 2023 <https://ln.run/LXvuo>
- 12 الهوية التعاونية هي الإطار الذي يميز التعاونيات عن غيرها من الكيانات الاقتصادية والاجتماعية، وتتمثل في مجموعة من المبادئ والقيم التي توجه عملها لتحقيق أهدافها التنموية والإنسانية. تقوم الهوية التعاونية على أساس التوازن بين تحقيق المصالح الاقتصادية وتعزيز القيم الاجتماعية، ما يجعلها أداة فعالة لبناء مجتمعات متماسكة ومزدهرة.
- 13 التعاونيات والتنمية الزراعية في السودان <https://ln.run/OXVVI>



منتدى البدائل العربي
Arab Forum For Alternatives

منتدى البدائل العربي للدراسات الاجتماعية

بناية وست هاوس 3، ش جان دارك الحمراء، مكاتب أوليف جروف، بيروت، لبنان.



+961 76 386 477



info@afalebanon.org



<https://www.afalebanon.org/>

هذا المصنّف مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي نَسب المصنّف - غير تجاري - منع الاستنطاق 4.0 دولي.